سياق الحال في الاتجاهِ الوظيفيِّ

مايكل هاليداي "أنموذجا"

م.د. أحمد كاظم عمّاش م.د. رياض حمود حاتم

جامعة بابل / كلية الدراسات القرآنية

The Meaning in Context in the Functional Direction According to Michal Haliday

Lect.Dr. Riyadh Hmood Hatim Lect.Dr. Ahmad Kadim Ammash

College of Studies of Quran/ University of Babylon

ahmedamash30@gmail.com

Abstract

The functional direction is one of the linguistic trends which has pragmatic view to language aims at revealing the real human behavior. This view helped to identify the meaning of the text. A word may have different meanings in the dictionary but the context identify the required meaning.

الملخص

إنّ الاتجاه الوظيفي من أبرز الاتجاهات اللغوية التي نظرتْ إلى اللغة نظرة براغماتية لا نظرة عقلية تهدف إلى الكشف عن الحقيقة الكامنة تحت السلوك الفعلي للإنسان، وهذه النظرة ساعدت في تحديد المعاني المرادة من النص بالنظر لما يحيط بذلك النص من ظروف وأحوال، إذ لو أخذنا كلمةً ما من المعجم فنجد أنّ لها معاني مختلفةً، ولو استعملناها في نصّ ما لكان لها معنى واحد يحدده السياق، وتجسدت هذه النظرية على أنّها نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، ليست وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنّها حصيلة المواقف الحيّة التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث، أي من خلال(سياق الحال)، وهذا السياق هو كلُّ ما يتعلق ويحيط بالأفراد، أو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، وهذا السياق قيّده هاليداي بمقيدات أفادت في تطور النظرية التي عرف بها فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: سياق الحال، المدرسة الوظيفية، هاليداي، الاتجاه الوظيفي

المقدمة

شهد القرن العشرون نشاطاً متميزاً في مجال الدراسات النحوية واللغوية وهذه الدراسات أغلبها برزت في الغرب، فخرّجتْ الكثيرُ من النظريات اللغوية ثائرة على الدراسات التقليدية، فاتخذت لها اتجاهات مختلفة في النظر إلى اللغة ووظيفتها، ومن هذه الاتجاهات (الاتجاه الوظيفي) وفيه ينظر إلى المعنى من سياق الحال لما له من أثر في توجيه الألفاظ لتكون دالة على معانٍ بحسب ذلك السياق.

فكان الاتجاه الوظيفي من أبرز الاتجاهات التي نظرتْ إلى اللغة نظرة براغماتية لا نظرة عقلية تهدف إلى الكشف عن الحقيقة الكامنة تحت السلوك الفعلي للإنسان، وهذه النظرة ساعدت في تحديد المعاني المرادة من النص بالنظر لما يحيط بذلك النص من ظروف وأحوال، إذ لو أخذنا كلمةً ما من المعجم فنجد أنّ لها معاني مختلفةً، ولو استعملناها في نصّ ما لكان لها معنى واحد يحدده السياق، يقول فندريس: " فالكلمة لا تتحدد فقط بالتعريف التجريدي الذي تحدده به القواميس، إذ يتأرجح حول المعنى المنطقي استعمالها وهي التي تكوّن قيمتها التعبيرية "[1].

والاتجاه الوظيفي له مدارس مختلفة منها مدرسة لندن، وهذه المدرسة لها مؤسسون من أبرزهم البروفسور مايكل هاليداي الذي طوّر النظرية السياقية التي عرف بها العالم الإنكليزي جون فيرث، ثم وضع نظرية أسماها نظرية (النحو النظامي) وهذه

1- اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي: 231.

النظرية مبنية على أساس تعدد وظائف اللغة، وهذا يعني أن مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما تمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره، ومصطلح (سياق الحال) يعبّر عنه في بعض الكتب بـ(سياق المقام).

التمهيد

مدرسة لندن

لاقت آراء سوسير ونظرياته في النصف الأول من القرن العشرين من النجاح قسطاً عظيماً، بين عدد كبير من الدارسين، وكانت معيناً لعدد من المدارس التي قامت على المبادئ النظرية التي أرسى سوسير قواعدها، والأسس المنهجية التي سطر معالمها ووضعها، ومن تلك المدارس اللسانية، مدرسة لندن وهذه المدرسة لم تحدد منهجها لها إلاّ بالانطلاق من تحديد اللغة على أنّها نظامٌ وظيفيٌّ يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، أي: هي وسيلة اتصال اجتماعية يستعملها الفرد لأداء وظائف مختلفة.

ولعل ألمع اللسانيين في هذه المدرسة الذين أسسوا للدرس اللساني: أليس وبيتمان ودانيال جونس وجاردينر وجون فيرث وهاليداي ووليام جونس وهنري سويت.

إلا أنّ الدرس اللساني الإنجليزي لم يشهد التطور النوعي والمنهجي إلا على يد جون فيرث الذي كشف نظرية سياق الحال للعناية بالجانب الدلالي للغة الطبيعية من حيث هي وسيلة للتواصل الاجتماعي، دون إغفال الدراسات الصوتمية التي أسس لها دانيال جونس وهنري سويث بتأثير من الدرس الهندي القديم، وقد أسهم فيرث من خلال مدرسته الجديدة مدرسة لندن في الاعتراف باللسانيات العامة علماً أكاديمياً في الجامعات البريطانية بدأ من سنة 1944 و1956، وممن تأثر بمنهجه البروفسور مايكل هاليداي، وهذا يعد المؤسس الثاني لهذه المدرسة.[1]

ولد مايكل ألكسندر كير كوود هاليداي(1925) في انكلترا لأسرة جامعية، ودرس اللغات متخرجا من جامعة بكين وانكلترا سنة (1955)، وحصل سنة(1981) على جائزة (دافيد راسل) للبحث المتميز في تعليم الانكليزية من المجلس الوطني بمعلمي الانكليزية بأمريكا، وقد كان من أنبه تلاميذ فيرث، وله أعمال تغطي قطاعاتٍ لسانيةً متنوعةً منها لسانيات النص، والتعليمية والشعرية واللسانيات العامة، وهو صاحب نظرية في النحو تعرف بنظرية (النحو النظامي)، ألف بالاشتراك مع زوجته[2] رقية حسن كتاباً حول الاتساق في اللغة الانكليزية سنة(1985م).[3]

اللغة عند هاليداي

تعددت مدارس الفكر اللغوي وتعددت الاتجاهات بتعدد النظرة إلى اللغة، فاللغة بنظر هاليداي _وهي نظرة الاتجاه الوظيفي_: عبارة عن وسيلة اتصال يستعملها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات.[4]

فالجانب الوظيفي للغة ليس شيئاً منفصلاً عن النظام اللغوي نفسه، فتداخل الأدوار والمشاركين في النظام النحوي في كلِّ لغة مرتبط ارتباطاً مباشراً بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة، أي: ما يستطيع المرء أن يؤديه أو يفعله باللغة، فتكون اللغة نوعاً من السلوك الدلالي المحتمل من المتكلم. يقول هاليداي: ((إذا كان بإمكاننا أن نغير مستوى الرسميةformality في كلامنا أو كتاباتنا، أو أن ننتقل بحرية من نمطٍ سياقيٍّ معينٍ إلى نمطٍ آخر، فنستعمل اللغة تارة لتخطيط نشاط منظم، وتارة

2- ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر: 81، ومناهج الدرس النحوي في العالم العربي، د. عطا محمد موسى: 305.

3- هي هندية الأصل، حصلت على الدكتوراه من جامعة ايدنبرغ، ألقت المحاضرات في جامعات انكلترا وأمريكا، ثم عُينت في جامعة مكاري في استراليا، لها الكثير من البحوث في مجال الأسلوبية والسياق والنص، والمعجم، والدلالة .

4- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بو قرة: 268-269.

5- ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: 71، واللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته، د.حافظ إسماعيل: 400.

لإلقاء محاضرة عامة، وتارة لتدبير شؤون الأولاد، فلأن طبيعة اللغة على شاكلة بحيث إنّ جميع هذه الوظائف مبنية حسب طاقاتها الاستيعابية الكلية))[1].

فهاليداي يربط بين النظام اللغوي وكيفية توظيف هذا النظام لأداء المعاني، فالنظرية الوظيفية ليست هدفاً، وإنما إطارٌ يتمّ من خلالها الكشف عن الخيارات المتاحة أمام المتكلم، أي: ربط اللغة بالوظيفة التي تؤديها، وتأدية هذه اللغة لوظيفتها لا تتمّ إلّا من سياق حال المتكلم، لأنّه أعرف بما يمليه عليه ذلك السياق.

المبحث الأول

سياق الحال

تجسدت هذه النظرية عند فيرث بنظرته إلى اللغة على أنّها نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، ليست وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنّها حصيلة المواقف الحيّة التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث، أي من خلال (سياق الحال)، وهذا السياق هو كلُّ ما يتعلق ويحيط بالأفراد، أو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي (أو للحال الكلامية)، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية:

1- الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللغوي.
2- الأحداث اللغوية نفسها، أي العبارات المنطوقة.
3- الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي.
4- أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلاً.

ويرى فيرث أنّ المعنى لا ينكشف إلا بتسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة، وفي ذلك تبنى فيرث الحال التي جاء بها مالينوفسكي، لكنّه لم يكتفِ بذلك بل تعداه إلى الدراسة اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية.[3]

لكنّ هاليداي لم ينظر إلى هذه العناصر كلّها، وإنّما أراد أن يقيد السياق بالأمور المؤثرة في البيئة وتكون ذات صلة مباشرة بالحدث اللغوي، نراه يقول: ((من المهم أن نقيد فكرة السياق، وذلك بأن نضيف لها كلمة (ذات صلة) relevant، لأن سياق الحال لا يعني كل صغيرة وكبيرة في المحيط المادي، كتلك التي قد تظهر فيما إذا كنّا نسجل بالصوت والصورة حدثاً كلامياً مع كلّ المشاهد والأصوات المحيط به، أنه يعني تلك الملامح التي لها صلة وثيقة بالكلام الحاصل))[4].

ونلاحظ أنّ هاليداي نظر إلى السياق أبعد من فيرث، فنراه يُبين وحدة المعنى بتركيب الجملة، أي: إنّ المتكلم لا ينطق بالجملة عارية ثم يكسبها ثوب المعنى في مرحلة تالية، ولكنّ المعنى ينشأ في الظرف المناسب وفي لحظة الخلق اللغوي، أي: في لحظة تفاعل المرء مع الحدث.

يقول في هذا هاليداي: ((إنّ السياق جزء من التخطيط الكلي... ليس هناك انفصال بين ماذا نقول وكيف نقول، اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال، وكلُّ ما فيها مرتبط بالسياق))[5]

فتحديد الكلمة تعتمد على النظر إلى مجموعة الكلمات التي تقع معها في السياق اللغوي، فمعنى كلمة (منصهر) يرتبط بمجموعة من الكلمات: حديد، نحاس، ذهب، فضة، ولا تتلاءم مع كلمة أخرى ليس لها ارتباط كـ(جلد) فهي لا تتلائم معها مطلقاً.[6]

1- ينظر الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: 71، والمعنى في النظريات اللغوية الحديثة، د. أحمد جواد العتابي: 22.
2- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: 71. -3
3- ينظر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، هـ. روبنز، ترجمة: أحمد عوض: 349. 3-
4- ينظر: نظرية النحو العربي، د.نهاد الموسى: 85، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: 84. 4
5- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: 5.84-
1. ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 74 .

فهاليداي نظر إلى الكلمة نظرة شمولية من منظور سياق الحال لذلك طوّر((فكرة السياق في دراساته عن الترابط اللغوي وتحليل النصوص، فاقترح أسلوباً آخر لتحديد العناصر السياقية التي تلعب دوراً في بيان معنى النص، وهذا الأسلوب يوظف ثلاثة مصطلحات على وجه التحديد هي:

- الحقل field وهو المجال الطبيعي (الاجتماعي) الذي يكون مسرحا للنص، فيشمل بذلك النشاطات المختلفة، والأهداف الخاصة التي تستعمل اللغة من أجل تحقيقها.
- التوجّهات tenor ويشمل العلاقات ما بين المشاركين في الحدث اللغوي: وضع كل مشارك والدور الذي يؤديه كل مشارك.
- النمط mode وهو الوسيلة المتتبعة في النص (أو الحدث اللغوي) ويشمل الأسلوب اللغوي والوسائل البلاغية.

ويحرص هاليداي على تأكيد فكرة مهمة وهي أن هذه العناصر لا ينبغي أن تعامل على أنها أنواع من الاستعمال اللغوي، ولكنها إطار نظري لتمثيل السياق الاجتماعي الذي يستطيع المتكلم من خلاله أداء المعاني.))[1]

ومن الأمور التي وضع هاليداي لمساته عليها في نظرية السياق هي سياق المقام، فوضع في هذه الفكرة "سياق المقام" ثلاثة عناصر هي المجال، والنوع أو الوسيلة، والمشتركون في الخطاب، وهي تقابل عنده المكونات الوظائفية للنظام المعنوي وهي: الفكروي والعلائقي والنصاني.[2]

وهذه الوظائف الثلاثة للغة تمثلها البنية مرتبطة بالنشاط اللغوي والبيئة الاجتماعية، وتسمى بمصطلح آخر (أنساقاً) وهي:[3]

1- الوظيفة التمثيلية: وهي وظيفة تمثيل الواقع، ويطابقها نسق التعدية، ويتضمن نسق التعدية مفاهيم دلالية كمفهومي(المتقبل والمنفذ) كما يشمل ظروف الكلام الحالية وملابساته.

2- الوظيفة التعالقية: وهي وظيفة التعالق بين المشاركين، ويطابقها نسق الصيغة، ويعبر هذا النسق عن مفهومي(الجهة والقضية)، والقضية مكونة من (فاعل وفضلة وتوابع).

3- الوظيفة النصية: وهي وظيفة تنظيم الخطاب بحسب مقتضى الحال ويطابقها نسق المحور ويشمل العلاقات ذات الطابع التداولي إذ يعبّر عن مفاهيم تداولية أو نصية كمفهوم (التعليق) ومفهومي (المعطى والجديد).

وهذه الوظائف تتكامل في بنية لغوية واحدة لتحقيق الوظيفة الأساسية للغة وهي(التواصل والإبداع)، هذا الإبداع اللغوي يتمثل في قدرة المتكلم في خلق معانٍ جديدة، وليس في توليد أو خلق جمل جديدة كما يرى التحويليون، وهذا الفارق والاختلاف الجذري بين اتجاه جومسكي العقلاني واتجاه هاليداي الوظيفي، فكلّ منهم ينظر إلى اللغة بمنظور يختلف عن غيره، فجومسكي ينظر إلى اللغة على أنّها شيء نعرفه، وينظر هاليداي إلى اللغة على أنّها شيء نفعله.[4]

هذه العناصر والمكونات هي التي تترابط خالقة اتساق النص، وهي المهمة التي يقوم بها المتلقي بناءا على معيار الترابط بين أجزاء الخطاب وهو ذاته معيار لتحديد ما هو نص (ما يشكل كلاً موحداً مترابطاً) وما لا ليس نصاً (جمل غير مترابطة) هذا الترابط المتسق ما بين الداخل النصي والخارج المقامي.

ذلك أنّ هاليداي نظر إلى اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية فدرس علاقاتها بالمجتمع دون أن يقصي ما تمدّه به المناهج والمجالات المعرفية المختلفة، لأنّ السياق عند هاليداي سابق على النص فإنه بدأ بمعالجته منطلقاً من تعريف النص بأنّه اللغة التي تخدم غرضاً وظيفياً؛ أي إنّه لغة (النظام) تخدم غرضاً في إطار سياق ما، وقد تكون تلك اللغة مكتوبة، وقد تكون منطوقة وفي الحالتين هي نظام سيميولوجي لغوي يتطلب منها فهم اللغة كنظام، لفهم كيفية عمل النصوص لا الجملة.[5]

2. ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 85.
3. -ينظر: طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام، شريفة بلحوت: 127.
4. ينظر: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، الطاهر شارف، رسالة ماجستير: 11-12.
5. ينظر: الإتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: 89 .
ينظر: شبكة الإنترنت: منتدى المشهد الموريتاني5-.

المبحث الثاني

النحو النظامي

يعد ما قدمه هاليداي من تطور لنظرية السياق من أكثر اتجاهات المدرسة الوظيفية تكاملا، فهو يرى أن قدرة المتكلم على استعمال اللغة تقع ضمن الإمكانيات التي تسمح بها اللغة، وهو بذلك يؤكد الجانب الوظيفي للغة، لكنّه يرى أن يتم تصنيف هذه الوظائف ضمن نظام يعبر عن استخداماتها، أطلق عليه النحو النظامي systemic grammar.[1]

وهذه النظرية تقوم على ثلاثة أركان هي:

أولاً: الشكل: وهو تنظيم أجزاء اللغة على وفق قواعد النحو والصرف.

ثانياً: المادة: وهي الجانب الصوتي والكتابي.

ثالثاً: السياق: ويقصد به العلاقة بين الشكل والمواقف.[2]

((وهذه النظرية مبنية على أساس تعدد وظائف اللغة multiple function.وهذا المبدأ ينعكس على النظام اللغوي، فنجد أنّ كل تركيب أو بناء لغوي يؤدي وظيفة مختلفة، وهذا يعني أن مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما يمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره، هذه الوسائل ليست في الواقع سوى الاستعمالات الفعلية للنظام اللغوي، ومن ثَم فإنّه من الصحيح أن نقول: إنّ الوسائل التعبيرية المتاحة للمتكلم، أو الاستعمالات التي من الممكن أن يلجأ إليها مستعمل اللغة تكون في حدود الإمكانيات اللغوية الموجودة في اللغة، هذه الإمكانيات هي خصوصيات كل لغة))[3].

من هذا نلاحظ أن هاليداي قد ركّز في هذه النظرية على الجانب الوظيفي للغة، مما جعل المهمة الرئيسة التي ينبغي الاضطلاع بها منذ البداية هي تصنيف هذه الوظائف ضمن نظام نحوي يعكس بالدرجة الأولى تلك الاستعمالات.

والنظام النحوي الذي قدمه هاليداي عبارة عن شبكة ضخمة من العلاقات المتداخلة لأنه مبنيّ على وظائف اللغة كما تصوّرها، لذلك نراه قد حاول تقديمَ حصرٍ بأهم وظائف اللغة فتمخضت محاولاته عن الوظائف الآتية:

1- الوظيفة النفعية الوسيلية: وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها "أنا أريد" فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يُشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم.
2- الوظيفة التنظيمية: وهي تعرف باسم وظيفة "افعل كذا، ولا تفعل كذا" فمن خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين، لتنفيذ المطالب والنهي، وكذا اللافتات التي نقرؤها، وما تحمل من توجيهات وإرشادات.
3- الوظيفة التفاعلية: وهي وظيفة "أنا وأنت" حيث تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أنَّ الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكاك من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين.
4- الوظيفة الشخصية: من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤياه الفريدة، ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، بعد ذلك يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخرين.
5- الوظيفة الاستكشافية: وهي التي تسمى الوظيفة "الاستفهامية" بمعنى: أنه يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة.
6- الوظيفة التخيلية: تتمثل فيما ينسجه المتكلم من أشعارٍ في قوالب لغوية، كما يستخدمها الإنسان للترويح، ولشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل، وإضفاء روح الجماعة، كما هو الحال في الأغاني والأهازيج الشعبية.

1- ينظر: مناهج الدرس النحوي في العالم العربي: 305.
2- تنظر: وظائف اللغة، هاليداي، تر: محمود أحمد نحلة: 14.
3- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: 89.

7- الوظيفة الإخبارية الإعلامية: باللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصًا بعد الثورة التكنولوجية الهائلة، ويمكن أن تمتدّ هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية اقناعية؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة والعدول على نمط سلوكي غير محبب.

8- الوظيفة الرمزية: يرى بعضٌ أنَّ ألفاظ اللغة تمثل رموزًا تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي، وعليه فإنّ اللغة تستخدم كوظيفة رمزية.[1]

وسنعرض جانباً تطبيقياً لنظرية النحو النظامي نتطرق فيها لفكرة التعدي واللزوم في اللغة العربية، لأنّ هذه الفكرة عند هاليداي تتمثل في العلاقات التي يمكن تأسيسها ما بين((النشاط)) process type و((المشاركين))participants.

لنقرأ الجملتين الآتيتين:

1- بكى الطفل

2- انفجر الوضع الأمني في لبنان

تحتوي كل جملة على عنصرين:

أ- نشاط يمثله الفعل.

ب- مشارك واحد هو عبارة عن الاسم سواء أكان عاقلاً أم جماداً.

نتأمل الجملتين لنتعرف نوع النشاط فيها، فنجد الأول يدل على حركة يسمى ((عامل))، أما الجملة الثانية فنجد النشاط يدل على حدث فنسميه: ((متأثر)).

فإذا كان النشاط يقتصر على العامل أو المتأثر فهو ((نشاط قاصر)) أما حينما يتجاوز النشاط إلى عنصر ثان في الجملة فهو ((نشاط مجاوز)) كما في هذا المثال:

3- شرح المعلمُ الدرسَ: وهذا العنصر يطلق عليه مصطلح الهدف goal؛ لأنّه عبارة عن نتيجة النشاط أو أثر النشاط الذي قام به العامل، ونجد في بعض التراكيب أن ما يمثل نتيجة النشاط هو عبارة عن مشارك نطلق عليه مصطلح ((الظرف)) كما في المثال الآتي:

4- غرد العصفور فوق الشجرة: ولكن نرى أن بعض النشاط (الفعل) ليس حركةً أو حدثاً، ولكنّه يعبر عن وضع من الأوضاع state ولذلك فهو فعل وضع stative verb، أما الاسم الذي يأتي بعد فعل الوضع فلا يصح أن نطلق عليه مصطلح ((العامل))؛ لأنّه لا يقوم بعمل ولا يتأثر به، وبالنظر إلى وظيفته نجده عبارة عن شيء يتصف بالحقيقة التي يرد ذكرها بالنشاط، لذلك سنسميه ((متصفاً)) والاسم المنصوب في تلك التراكيب يظهر من وظيفته العامة أنه يبين الشيء الذي اتصف به المتصف، فسنسميه ((وصفاً))، وقد يكون الوصف عدداً أو اسماً صريحاً، كما في الأمثلة الآتية:

5- يُكلفُ الكتابُ عشرين ديناراً.

6- يشبهُ زيدٌ أباه: أمّا الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين فينظر إليها إزاء نوع مختلف من النشاط، فالحركة التي تصدر من العامل ذات بعدين، فهي من جانبٍ تؤثر في شيء –غالباً ما يكون عاقلاً– وهي من الجانب الآخر تبينُ الأثر الذي ترك في هذا الشيء نتيجة للنشاط، وهذا يعني أنّ هناك مشاركين اثنين غير العامل في هذا النوع من الجمل، يكون المشارك الأول منهما عبارة عن شيء أو عنصر استفاد من العمل الذي صدر من العامل، والمشارك الثاني هو الشيء المستفاد، أي أنّه مجردُ أثر أو نتيجة للنشاط، وتبعا لهذه الوظائف فسنسمي الأول((مستفيداً)) والثاني ((هدفاً))، فلننظر إلى المثال الآتي:

1- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د.جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة،عدد،1990م،ص22.

7- منحَ المديرُ سكرتيرته إجازةً مرضيةً.

نحلل هذه الجملة فتكون: منح المدير سكرتيرته إجازة مرضية

نشاط مجاوز عامل مستفيد هدف صفة

اتضح من هذه الأمثلة كيفية تداخل الأدوار والمشاركين في النحو النظامي، الذي يلغي ذلك التقسيم الحاسم للأفعال إلى لازم ومتعدٍ، المنبثق من أسس صرفية.

والخلاصة من ذلك أنّ التعدي واللزوم من وظيفة الجملة بأكملها؛ لأنّ الوظائف اللغوية تُؤدَّى عن طريق الجملة المتكاملة، ويكون تحديد الأدوار ونوعية المشاركين على أساس وظيفتها الدلالية في الجملة، ولذلك يجب أن نعدّ ((العامل)) و((الهدف)) وغيرهما من الأدوار الوظيفية على أنّها وظائفُ دلالية وليست وظائفَ نحويةً.

فمن الواضح بعد ذلك أنّ (هاليداي) يحاول أن يقيم نظاماً نحوياً على أسس دلالية وظيفية؛ لأنّه يعتقد أنّ نحو كل لغة مصمم بكيفية معينة لتمكن المستعمل من أداء المعاني المستعملة، والحقيقة الواضحة عندئذ أنّه حينما نكتب نحو لغة ما فإنّنا نبحث عن وسائل أداء تلك اللغة للمعاني.[1]

الخاتمة

إنّ أغلب اللغويين قديماً وحديثاً عرفوا أهمية سياق الحال؛ لأنّه يكشف ملابسات النص وما يحيط به من أحوال، والكلمة لا تعطي معناها منفردة وإنّما بعلاقتها مع الكلمات المجاورة وسياقها.

وهاليداي من اللغويين الذي ساروا على ما ثبّته أستاذه فيرث في النظر إلى السياق، لكنّ الذي قدّمه لم يقدمْه فيرث، فهو كان أكثر تنظيماً في وضع أسس النظرية السياقية، معتمداً على بعض العناصر التي ميّزته عن أقرانه، فضلاً عن نظرته الشمولية للكلمة، لأنّ سياق حاله يحدد معنى داخل التركيب الكلامي، فكانت نهاية أبحاثه ودراساته نظرية النحو النظامي، وما جاء به يصبّ بصورة مباشرة في الاتجاه الوظيفي للغة الذي لاقى رواجاً بنظرته إلى اللغة التواصلية.

المصادر والمرجع

- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، 1989م.
- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د.جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة،عدد،1990م.
- طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام من منظور مايكل هاليداي ورقية حسن، شريفة بلحوت، جامعة تيزي وزو، الجزائر، د.ت.
- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بو قرة، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2010م.
- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، د.حافظ إسماعيلي، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، 2009م.
- المعنى في النظريات اللغوية الحديثة، د. أحمد جواد العتابي، مجلة كلية التربية–الجامعة المستنصرية.
- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي، د.عطا محمد موسى، دار الإسراء، الطبعة الأولى، 2002م.
- منتدى المشهد الموريتاني، شبكة الإنترنت.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د.نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م.
- وظائف اللغة، مايكل هاليداي، ترجمة: محمود أحمد نحلة، (دـ ط)،(دـ ت).

- ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: 89-193.